



28 أكتوبر 2009

د. إيهاب فؤاد

إلى كل حبيب قيَّده ظالم، وغيَّبه عن بيته من لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، إلى حبيب القلب الذي أترقتني نبأ اعتقاله، رفيق الصبا، وشقيق الدرب، الحبيب عصام شرف الدين، حقيق أنني لم أجزع لاعتقال أحدٍ كما جزعتُ لاعتقال مصعب هذا العصر، إنه الغنى الرقيق المدلل الذي كنا نقول له مداعبين: متى يأتي علينا التجنيد الإلزامي؛ لنرى فيك يومًا فترى شطف العيش، وكنا نمازحه بذلك؛ حتى إنه حين تعرَّض لذلك وتناول عليه الشاوبش، ضربه فأسال دمه، ولم يكن له من مخرج سوى أن يرضيه، يومها أمره أن يزحف داخل طرقات دورة المياه، يومها أسرع إلى أبيه، وقال لن أذهب مرةً أخرى، لقد كان أبوه من أبطال أكتوبر الحاصلين على وسام الجمهورية والحاصلين على نوط الشجاعة، ودارت الأيام دورتها، وتعاقب الزمن، ومات السند، والده الكريم، وقبله بعامين ودَّعت الكريمة أمه الحياة، وتقلبت الأيام، ولما قرأتُ نبأ اعتقاله هزَّني ذلك، فأسرعت أنصل هانفيًا؛ حتى يسرَّ الله لي أن أهاتفه، وتحدثت معه، فوجدته مبنسمًا، فقلت له صبرًا أيها الحبيب، وتذكرت قول ربي جل وعلا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)﴾ (إبراهيم).

لو بلغ بنا الأذى مبلغه، لو قيدونا، وسجنونا، لو اختطفونا من بين أبنائنا، وزوجاتنا، وأهلينا، لو روعوا الصغار، ولو تناولوا على حرمان بيوتنا، فلا يزيدنا ذلك إلا صبرًا..

أيها الحبيب أذكرك بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)﴾ (الطلاق).

يلعلَّ ما يريح القلب وتسكن إليه النفس، قول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)﴾ (التوبة).

الحقيقة أن من سلَّم لله أمره، واستسلم وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله تعالى له هو أسعد الخلق على ظهر الأرض.

أوصيك أيها الحبيب بدعاء سيدنا يونس عليه السلام: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وأكثر من قول (حسبنا الله ونعم الوكيل).

ن في الصلاة راحة القلب، وسلامة النفس، وسكينة الجوارح، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)﴾ (البقرة).

عليك بسهام الليل، عليك بالدعاء، فإنه يبرئ من أسرار تمكين الله عز وجل للعبد.

اطرق باب ربك بدعوات في جوف الليل، وركعات في ظلام الليل، أسلم لله قياد أمرك، وأخلص لله نيتك ودينك، وتذكر أخي نفسك وإخوانك بدعوات بظهر الغيب؛ فإنَّ العبد أقرب ما يكون من ربه حين تنزل به المحنة، ويحل عليه البلاء، فلا تنسنا يا أخي أنت من دعائك، تمسك بحبل ربك واسأله التثبيت، وعليك بدعاء حبيبك محمد "يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"، قال الله تعالى:

﴿الْم (1) أَحْسِبَتِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾ (العنكبوت)، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى تَصْرَفُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ تَصْرَفَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)﴾ (البقرة)، وكان التأكيد أشد في قوله: ﴿لَيُنزِلَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)﴾ (آل عمران).

إنه طريق الرسل والأنبياء، طريق الصادقين، طريق ليست مفروشة بالورود ولا الرباحين؛ لكنها مفروشة بجهاد المجاهدين، فنباتهم على الطريق انتصار لهم، ومضيقهم قدماً في دعوتهم رغم ما يحاك بهم من غير تراجع دفقة في شرايين الأمة، وسيعلم الظالمون حين تطول وقفهم بين يدي الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كم من جرم ارتكبه يوم اقتحموا البيوت على رؤوس أصحابها، يوم روعوا الأبطال، وانتهكوا حرمة البيوت، في وقت يرتع فيه قتلة الشعب آمين، يحبس أصحاب الدعوات، ويطلق اللصوص، إنها شريعة الغاب في زمن انقلب فيه الهرم، فأصبح الشريف متهماً، وأصبحت السجون مأوى لخيرة أبناء الأمة.

إن سجانك يا أخي مسجون خلف قضبان سلطانه، ومخدوع بمن حوله، إنه محبوس في نفسه، أمّا أنت فليس لأحدٍ على روحك سبيل أو سلطان إلا خالقها.

التفت إلى من حولك من الناس جميعاً؛ هل تجد فيهم إلا مصائباً، أو مبتلى، أو مهموماً، أو مغموماً؛ إما يفقد حبيب، أو يغياب عزيز، أو ينزل مرض، أو بسماع فاجعة، أو يغيرها من البلايا، ولا يعني هذا غضب الله عليهم، ولقد كان أكثر الناس بلاء الأنبياء، والسائرون على دربهم يتعرضون لما تعرضوا لهم، إنه استعلاء الروح فوق كل ما يكدر صفوها، وما ينغص عليها سبيل سعادتها، وعداً يرى الظالمون سوء فعلتهم، فيا كل من أودي، يا كل من ظلم، يا كل من فهر، يا كل من أصيب بمصيبة، يقول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّى مُنْقَلَبِ تَبَقِيُونَ (227)﴾ (الشعراء).

صبراً أخي في محنتي وعقيدتي ***** لا بد بعد الصبر من تمكين

ولنا بيوسف أسوة في صبره ***** وقد ارتمى بالسجن بضع سنين

هون عليك الخطب لا تعبأ بهم ***** إن الصعاب تهون بالتهوين

ستسير فلك الحق رغم أنوفهم ***** ويدل كل منافق وجبان

بالله مجراها ومرساها ***** فهل تخشى الردى والله خير ضمين

سنعود للدنيا نطب جراحها ***** سنعود للتكبير والتأذين

يقسم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الفرج قريب وأن النصر آتٍ، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أشد المواطن، وفي يوم يُعدُّ من أحلك الأيام؛ حيث تجمع عليه الأحزاب من كل صوب وحذب وهو يوم الخندق الذي قال الله فيه: ﴿ذُجَاءُكُمْ مِنْ قَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (11)﴾ (الأحزاب)، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليفرجنَّ الله عنكم ما ترون من الشدة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله عزَّ وجلَّ إليَّ مفاتيح الكعبة، وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ولتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله".

قال مسروق رحمه الله: كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك، وكان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم الخيام؛ فجاء النعلب فأخذ الديك، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، ثم جاء ذئب فمزق بطن الحمار وقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، ثم أصيب الكلب بعد ذلك، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من كان حولهم، وبفوا هم سالمين، وإنما أخذ هؤلاء بسبب أصوات الكلاب والحمير والديكة، وكانت نجاتهم في هلاك ما عندهم.

صبراً أخي... فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة.